اقد كان قلب البستاني كبيراً ليسع قومه واسعاً لافادتهم مفتوحاً لاستقبالهم جميعاً فافاض عليهم نور المعرفة صافياً وعمل لتخليد اسمهم بين الامم . . .

ومن افاض النور فهو نير ساطع ! ومن عمل للتخليد فهو خالد !

القبعة على رؤوس الاتراك والعرب

نظر اخلاقي للاب لويس شيخو اليسوعي

يعلم قرّاؤنا ما تقدّم به رئيس الجمهورية التركية في انقرة لرعايا دولته فامر ان يجعلوا على رؤوسهم القبعة تشبّهاً بالامم الاوربية وبهِ زال آخر ما بقي من المميزات للاتراك عن سواهم في اللابس

فاستاء كثيرون منهم لهذه الاوامر الشديدة التي لم يُعفَ منها احد من صغار او كبار من طلبة المدارس او ارباب الدين فجرى لهم اليوم ما جرى قبل مئة سنة لما جعل السلطان محمود الثاني الطربوش شعاراً للاتراك فامتعض كثيرون غيظاً لذلك وكادت تقع ثورة في الجند والشعب من جرّائه . وها هوذا اليوم قد أُلقي الطربوش عن هام لابسيهِ فنزل من مرتبتهِ السابقة وغلبت عليهِ القبعة الفرنجية كما غلبت سابقاً على اللابس الشرقية الواسعة البهية ثيابُ اوروبة الحرجةُ الضاغطة . اما القلبساق فكان ملكهُ قصيراً وسلطانهُ ضيقاً .

ولسنا نحن لنؤاخذ رجال انقرة على ما يفضّلونه من الازياء في الملابس : فانّ الازياء تختلف من عهد الى آخر على اختلاف اذواق لابسيها فيُستحسَن اليوم ما كان يستقبَح أمس وربّما عاد اللابس الى ثياب اجدادهِ فانهُ ليس جديد تحت الشمس

وقد سألنا بعض الآغاوات في الاستانة العليّة هل عرف قدماء العرب والاتراك قبعة الرأس وتزيّوا بها في سالف الازمنة . فنقّبنا عن ذلك في آثار مكتبتنا الشرقية فكانت نتيجة بحثنا انّ القبّعة وان شئتَ قل البرنيطة حكمت احياناً على رؤوس الشرقيين من الترك والعرب

١ القبعة على رؤوس الاتراك

سواء اعتبرنا الاتراك في اصول تاريخهم اذ تفرّعوا عن المغول وكانوا يسكنون في حدود الصين ام خصصنا بالنظر دولتهم التي بسطت حكمها على آسية المتقدمة وجدنا آثارًا منبئة بلبسهم القبعة ان لم يكن عموماً فعلى الاقلّ افرادًا وانفارًا وفئات

١ ٢ ٣ ٤ ٥

اتراك وعرب والقبعة على رؤوسهم

واوّل دليل على لبس قدماء الاتراك القبعة اختلاط قبائلهم في القرون السالفة باهل الصين والصينيون كما هو معلوم يلبسون القبعة الواسعة الاطراف المحدّدة الرأس ومنها اشتق الاوربيون اسم بعض آلات الطرب المعروفة بالقبعة الصينية

(Chapeau chinois). وترى في تصاوير اجيال المغول القديمة رجالًا تعلو هذه القبعة رؤوسهم . وقد نشر بعضها المستشرق الفرنسوي المسيو ادورد بلوشه (E Blochet) في تاريخ المغول المعنون بجامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله

ولم ينفرد الاتراك لبس القبعة على رؤوسهم في عهد تاريخهم من زمن اورخان اوّل امرائهم الى القرون الاخيرة . لنا على ذلك شواهد في ما ورد عن السيّاح الاوربيين في انحاء الشرق . منها تصاوير رسمها الانكليزي ريكر اسكواير (Ricaut Escuyer) في تاريخه المسمّى بتاريخ الدولة العثمانيّة الذي نقله الى الافرنسيّة المسيو بريو (M^r Briot) فطبعهُ في مجلّدين في مدينة كولونية سنة ١٦٧٦ فبين تلك التصاوير الممثلة للابس الاتراك صورتان لبعض الاتراك في الاستانة على رؤسهم قبعات اشبه بقبعات بعض الاوربيين في زماننا (اطلب الصور ع ١,٢,٤)

وأبيّن من ذلك ما ذكره السائح الهولندي نيبوهر (C. Niebuhr) في كتابه المعنون بالسياحة الى جزيرة العرب . ففي طبعته الفرنسويّة المنقولة عن الالمانيّة والمطبوعة في امستردام سنة ١٧٧٦ وصف ملابس اهل الشرق من اتراك وعرب (١ : ١٢٧—١٣٦) وخصّ خمس صفحات رسم فيها ١٨ من ملابس الرأس للذكور والنساء بينها ما رسمناهُ هنا (ع ٣و٥) رهما موسومان في اصل الكتاب بالعددين (٨و٤٧) فقال في وصف قبعة العدد ٣=٨ انّ الجاوشيّة في مصر يلبسونها ومثلهم بعض اعيان الضباط في القاهرة وطرفها مكسوٌّ بقماش ناعم وهذا قولهُ بلفظهِ (ص ١٣٠) :

«Grand chapeau des Esjaus et de quelques autrs Officiers de marque dans Kahira, le bord en est enveloppé de toile fine.»

وقال في وصف العدد ٥=٤٧ هي صحيفة من فضة او نحاس اصفر تعلو رأس المرأة مستديرة الاطراف ممكّنة على رأسها وهنّ يربطنها تحت الذقن

٢ القبعة على رؤوس العرب

انّ العرب في البادية قلّما يجعلون على رؤوسهم ما عدا الكوفيّة والعقال . ولا عجب فانّ الكوفيّة مع تغطيتها للرأس يجوز ايضاً اتّخاذ طرفها لستر العيون عن وهج الشمس فتقوم نوعاً مقام القبعة

امّا في الحضر فلا يستبعد اتّخاذ بعضهم للقبعة

فانَّ الجاوشيَّة الذين مرَّ ذكر لُبسهم للقبعة لم يكونوا كلُّهم اتراكاً وانما كانوا ايضاً من الوطنيّين وعرب الحضر

ومن الشواهد الحديثة ما افادنا به الرحَّالة امين افندي الريحاني في رحلتهِ الاخيرة الى اليمن سنة ١٩٢٢ (ملوك العرب ١ : ٢٢٧–٢٢٨) انهُ وجد في طريقهِ من صنعاء الى الحُدَيدة قوماً من العرب يلبسون القبعات اي البرانيط قال:

«كنَّا نمرّ في طريقنا بنساء لابسات البرانيط ومنَّ يشتغلن مع الرجال في الحقول. والبرنيطة او الشَّبْقة قديمة العهد في عامة وبعض نواحي اليمن الاخرى، وهي صُنْع اهلها، يلبسها الرجال والنساء، وكلُّهم عرب وكلهم مسلمون. لكنَّ الشمس لا تعرف حدوداً في الجنس والدين، والانسان في مقاومته العناصر الطبيعيَّة لا يراعي التقاليد وهو ينبذها او ينساها لتمكنه من دفع العدوّ الهائل، بل من الدفاع عن الحياة

«وباي سلاح تحارب هذه الشمس شمس حمامة اذا اضطرَّك رزقك ان تشتغل او تسافر نهاراً. أبالكوفيَّة؟ وهي اذا تلثَّمتَ بها تدفع تاثير النبار والرمال فقط. قد تقي العيون من وهج الشمس ولكنها لا تقي الرأس من سهام اشعَّتها الكاوية. امَّا العمامة فلا بأس بها لاصحاب التحلَّة والكرامة، للسادة والعلماء الذين لا يضطرُّون الى السعي في سبيل الرزق والرفاه. قد برهن البابي النهابي في لبسهِ الشبقة على انَّ العبرة في الانسان شرقيّاً كان او غربياً. مثلها في الحيوان واحدة لا تتغير. ومن عواملها الاولى حفظ الحياة والدفاع عنها. وقد احسن ايضاً احسان في صنع شبقة من القشّ بمراعاة النسج فلا تمنع الهواء واسعة الاطراف تظلّل الوجه عالية القبع تحفظ الراس من سهام الشمس»

فكفى بهذا شاهداً على انَّ العرب كما الاتراك لم ينفوا من ملابس رؤوسهم القُبَّعة. ولم يأتِ الاتراك المحدثون شيئاً إذاً إن عمّموا اتخاذها في دولتهم

٣ اسماء القُبَّعة عند الاتراك والعرب

وممَّا ألقاه علينا السائل قولهُ: ان كان العرب والاتراك اتَّخذوا القبعة فباي اسم شاعت عندهم؟

﴿القبعة واسماؤها بالتركية﴾ اللفظة المختصة عند الاتراك للقبعة هي الشَّبْقة وهي كلمة مشتقَّة من اللغة الروسيَّة او الصقليَّة لكنها ترجع اصلاً الى اللاتينيَّة (Cap) ومنها (Caput) اي الرأس فأُطلقت على لبس الرأس وبنى الاتراك منها «شبقه لر» اي اللابس الشبقة و«شبق جي» اي صانع الشبقة وهم يكتبونها «چوبقه»

وجاء في بعض كتب السيّاح انّ اسمها عند الاتراك «قاروق» وانّما القاروق لا اطراف له تستر العيون مع اختلاف اجناسه وهيئاته

﴿اسماء القبعة بالعربية﴾ اسماء الملابس عند العرب مشتقة غالباً من لغات اجنبيّة. فأطلق البعض على القبعة اسم القلنسوة واللفظة من اصل اعجمي شاعت منذ أيام الدولة العبّاسيّة وقد اختصرها العامّة بالقلوسة وهي في عهدنا على شكل اسطواني مستدير مطرّفة او مقرّنة في اعلاها

وأشيع منها اليوم القُبّعة ويخفّفونها بالقَبّعة وان كانت القُبّعة في الاصل كما جاء في تاج العروس «خرقة تخاط كالبرنس يلبسها الصبيان»

وكان ملبوس القضاة على رؤوسهم قبّعة واسعة كما تراها في الشكلين ١ و٢. وكانوا يدعونها بالدَنّيّة لشبهها بالدَنّ فتستر اطرافها السفلى العيون

اما البرنيطة فهي طليانيّة الاصل (barreto) او (borreto) اشاعها الايطاليّون نزلاء اساكل الشرق في سوريّة ومصر. ولعلّ للبرنس اتّصالاً بهذا الاصل وهو يأتي بمعنى القلنسوة. قال في التاج: البرنس القلنسوة الطويلة. والله اعلم

وعلى كل حال يظهر ممّا سبق انّ القبعة ملبوس الرأس عند الفرنج أخذها العرب والاتراك في بعض اجيالهم. وإن لبسوها اليوم يمكنهم الاستناد في لبسها الى تقاليد سابقة في أمّتهم

سياحة رسولية في بلاد حوران

بقلم حضرة الاب فردينان تونل اليسوعي (تتمّة)

الزبيرة والزبائر

هما خربتان موقعهما جنوبي خبب بشرق في جرود اللجا وما بينهما مسافة بضع دقائق للماشي زرتهما فوجدت بين الصخور خيم اعراب اللجا فدخلت خيمة احدهم فرحّب بي على فقره المدقع وأقعدني على عباءته وقام يحتطب القهوة ويدقّها ثم أغلاها